# **الفصل الثالث:** بعض مشاريع الفكر العربي والاسلامي المعاصر.

## " مشروع أركون أنموذجا"

يهدف هذا الفصل الثاني إلى التعريف بصفة الإجمال ببعض المشاريع التي ظهرت متدافعة بعضها ببعض في اهتمامات المفكرين المعاصرين في الفضاءات العربية والإسلامية، ثم التمثيل بواحد منها والإمعان في الأسس التي بني عليها، ونخص بالمثال مشروع محمد أركون الفكري.

### 01-نماذج من مشاريع الفكر العربي و الإسلامي المعاصرة:

أوضحنا آنفا أن ثمة تيارين متباينين يتنازعان المشاريع الفكرية المعاصرة العربية والإسلامية على السواء؛ ولكل أتباعه ومشربه وأطروحاته. فمن الأفغاني في الاتجاه الديني إلى محمد عبده، إلى مالك بن نبي، إلى الأستاذ النورسي، وغيرهم كثير. ومن اللبيراليين أمثال شبلي شميل، وفرح أنطون، إلى محمد حسن هيكل، إلى محمد أركون، وأمثالهم كثر. كل هؤلاء وأولئك قدموا مشاريع موسوعية عدة، أثارت تدافعا وجدلا واسعين في الساحة الفكرية، مع ملاحظة أن منهم من لم يستطع أن يقدم تصورا واضحا عن مذهبه الفكري، على نحو ما يُلمَح في الأعمال الفكرية لحسن حنفي في جوانبها الفلسفية أو الصوفية أو الكلامية، فمرة يبدو إسلاميا بامتياز (إذا جالسته)، وأخرى علمانيا خالصا (إذا قرأته)، وأحيانا يتأرجح بين الاتجاهين. ومنهم من يعدل عن آرائه الفكرية إلى وجهات نظر أخرى مغايرة تماما سيما في أواخر العمر كما هو الحال في أدبيات طه حسين، وأفكار خالد محمد خالد وعلي عبد الرازق ومفاهيمهم السياسية وغيرها.

في حين نجد أن منهم من أضحى فكره مستهلكا على نحو لافت للنظر، في الشرق كما في الغرب الذي قد يكون موطنا مختارا له. بهذا الاعتبار لا يقل أهمية المشروع النهضوي الحضاري عند مالك بن نبي مثلا عن المشروع الفكري لمحمد أركون وكلاهما من الجزائر. ويكفي للدلالة على هذه الدعوى ذلك الإقبال الكبير على كتبهما ذوات الطبعات المتعددة، إن في نسختها الفرنسية أو في ترجماتها العربية، فهما بحق من أكثر المفكرين الذين أثاروا جدلا واسعا واستغرقوا حيزا كبيرا في هذا العصر. فإذا كان

ابن نبي يرى رأيه في الحضارة ويشخص أسباب انحطاط العالم الإسلامي وضعفه من خلل عقائدي، وعدم فاعلية العقيدة، وضعف الأساس المفاهيمي، والفوضى والتمزق الفكري، والقابلية للاستعمار وغيرها، ليجعل للنهضة شروطها ومقوماتها حتى ينتقل المسلمون من التقليد والجمود والانغلاق إلى التوازن والتجديد والانفتاح، فإننا في المقابل نجد أركون يعلن عن مشروعه الفكري في جملة من المحاور، هذا الأخير الذي رتبه على جملة من المقاصد صحت أو بطلت، قدّمت ضرا أو نفعا، إذ النقد لحدود ذلك النقد هو ما يفصل هذا عن ذاك.

## 02-ملامح المشروع الفكري عند محمد أركون:

تظهر ملامح مشروعه الفكري من خلال جملة من النقاط، نذكرها عموما، ثم نفرد بالذكر على سبيل الاختصار واحدة منها وهي موقفه من قضية التسامح في الفكر الإسلامي.

هذه النقاط هي كالآتي:

- نقد العقل الإسلامي.
- دعوى تاريخية القرآن.
- موقفه من أسماء القرآن الكريم.
- موقفه من أسلوب القرآن الكريم.
- علاقة علماء الدين بالسلطة.
- الروابط المشتركة بين الأديان.
- بنية الخطاب القرآني.
- قضية التسامح واللاتسامح في التاريخ الإسلامي.

**موقفه من قضية التسامح في الفكر الإسلامي::**

إن التسامح عنده إنتاج غربي محض، بمعنى – وفق تصوره – لم يعرفه تاريخ الإسلام لأنه يدخل ضمن ما يسميه " غير المفكر فيه" أو " المستحيل التفكير فيه" ، وسبب ذلك أن الفكر الإسلامي وقع تحت تأثير المناخ العقلي للقرون الوسطى، ومن جهة ثانية لأن المجتمعات العربية والإسلامية فقدت – بنيلها الاستقلال الوطني – معظم الشروط الاجتماعية التي تشجع على ثقافة التسامح، بينما نما وتعاق هذا المصطلح في المجتمعات الغربية بعد أن أحدثت قطيعة مع الدين.

ولو سُلِّم لأركون بذلك، فالمشكلة إذن في واقع الناس لا ببنية الدين الإسلامي، ومن ثم فالاستقلال الذي حظيت به تلك الدول لم يكن تاما، إذ ظلت مرتبطة بشكل أو بآخر بالدول الاستعمارية. كما أن تاريخ الأمة يتجاوز أربعة عشر قرنا بينما الاستعمار ظاهرة حديثة، فضلا عن أن الحضارة الغربية التي يتغنى بها أركون ومن على شاكلته قامت على جماجم البشر وجثثهم.

ثم أين شعارات الثورة الفرنسية التي ما فتئت تتغنى بالمساواة والحرية؟! من صنيعها في مستعمراتها، كما ضاقت ذرعا في هذه الأيام بقطعة قماش تضعها المرأة على رأسها!. وقد كان هو الآخر عضوا في لجنة "ستازي" الفرنسية التي أوصت بحظر الحجاب في المدارس الفرنسية، فهل تناقض الرجل؛ أم أنه أطلق شعارات جوفاء للاستهلاك الفكري والدندنة الإعلامية؟!!.